Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يؤكد عبد القاهر أن المعنى هو كل شيء . وأن اللفظ بمعنى الجرس والصوت لا قيمة له ، وان كانت هناك قيمة فلما يحمل من معنى هذا السؤال فى الشكل الذى وصفناه به يتجه إلى ناحيتين : الأولى اللفظ فى جرسه وصوته . ووقعه على الأذن . وتأليف حروفه ، وعدم المنافرة فيها . والثانية اللفظ فى دلالته على المعنى الذى يحمله بالفعل أو القوة على حد تعبير المناطقة ، ونقصد بالقوة ما يمكن أن يخرج به اللفظ إلى المعانى الأخرى التى يتحملها عن طريق الاستعارة والمجاز . أما من الناحية الأولى فينكرها عبد القاهر إنكارا يكاد يكون تاما.لأنه لا يرى فى اللفظ مايوجب الفضل الأدبى من حيث هو جرس وصوت . وهى ناحية لا نسلمها بسهولة لعبد القاهر : فما من شك أن هناك الفاظا تحمل فى جرسها المعنى الذى أسمعه الجرس . والوقع نفسه ، وما أسماه الأصوات ودلالتها اللفظية على معناها إلا من هذا القبيل . وهناك علم برمته من بين « علوم الملة » على حد تعبير « ابن خلدون » تقتصر مباحثه على مخارج الحروف ، ويقسم هذه الحروف إلى مهموسة ، ومقلقلة ، ومستعلاة ، وغيرها مما هو مشهور فى مصطلحات التجويد .. وهناك ألفاظ تكاد تكون دلالتها فى كل اللغات من أصواتها[1] وقد عقد لها « ابن جنى » فصلا خاصا فى كتابه « الخصائص » . على أن المتتبع لعبد القاهر يجد أنه يعترف بهذه الناحية فيجعل لخفة الكلمة . وثقلها على اللسان ووقعها فى الأذن ، وزنا فى الكلام ولو أنه طفيف لا يرضى عنه فى جملته ، ففى آخر كتابه « دلائل الإعجاز ، تقع على النص الآتى : « واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان ، داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد الإعجاز . وإنما الذى ننكره ونقبل رأى من يذهب إليه أن يجعله معجزا به وحده ، ويجعله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من الصناعات »[2] .

وهكذا نرى أنه لاينكر هذه الناحية الصوتية . أو أنه أجبر اخيرا أمام عبارات القرآن فى الأقل . على أن يجد للحروف مذاقا ، وأن يجعل خفتها على اللسان ، ووقعها فى الأذان مما يوجب الفضيلة .

---

(١) وهى بمعنى الصوت والمعنى .

(٢) دلائل الإعجاز صفحة ٣٧٥ .